

# الأمير مصطفى الشهابي وكتابه المصطلحات العلمية في اللغة العربية

الاستاذ أنور الجنيني - القاهرة

اطلاق كلمة (اطروحة) تعريفا لكلمة Thèse الفرنسية التي تعنى الدكتوراه ولكنه يعارض أن تسمى شهادة العالمية ويقول ان اطلاق كلمة عالمية على الدكتوراه سيلزم اطلاق كلمة عالم على من ينال هذا اللقب ، ويفرق بين كلمة سافان Savant التي يطلقها الفرنسيون وكلمة عالم ، ويرى أن العالمية لا تعطى الا لمن أصبح كهلا وأقنى العمر في التخصص والتنقير ، أما الدكتوراه فقد يحصل عليها الشاب في سن السابعة والعشرين من العمر ، ويقترح أن يطلق على حامل الدكتوراه لقب « حكيم » فيقال حكيم في الحقوق ، او حكيم في الآداب ، أو حكيم في الطب .

وفي مجلة المجمع العلمي العربي ( دمشق ) يكتب أول ما يكتب في آب 1924 تحت عنوان « قطع أغصان الشجرة » ويقول انه يبشر طبع كتاب ( الأشجار والانجم المثمرة ) ومكذبا بيما عمله بالتخصص في اللفظ الزراعى ، ولا يلبث أن يكتب عن « الوان الخيل وشياتها » ويبدا نشر موسوعته الأولى تحت عنوان الفاظ عربية لمعان زراعية عام 1925 ثم لا يلبث ان يختار عضوا فسي المجمع العلمي بدمشق فيلحق في آذار 1927 محاضراته الأولى بعنوان (تاريخ الزراعة في العالم العربي) .

ولقد لفت نظري منذ وقت بعيد وأنا أراجع معاركنا الأدبية موقفه من اسماعيل مظهر وردة عليه في محاولته اتهام العرب بالعقلية الغيبية ، وقد ذكر فيما نكر ان لديه من « خلط علماء يونان في كثير من العلوم ما يملأ مجلدا ضخما » ، ومعنى هذا أنه كان قد واصل عمله العلمي بالرغم من مشاغله بمنصبه الرسمي اذ ذاك ( مدير أملاك دولة سورية ) .

وقد تناول الرد على اسماعيل مظهر مرتين ، مرة

في مناسبة صدور كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » للأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربى في دمشق يتجدد الحديث عن هذا الرائد في أكبر صحف المغرب احتفالا باللغة العربية ، وذلك حتى يلتقى المشرق بالمغرب دائما في مجال البحث العلمي .

والحق ان الامير مصطفى الشهابي منذ وضع قلمه على الورق ، وكتب ونشر في الصحف وهو حتى اليوم والى ما بعد من عمره الطويل المديد : «الرجل الذي اقا للزهر والخيل والنبات دولة كبرى في الادب واللغة العربية .»

ولقد حاولت ان اتتبع ذلك في مطالع حياته فاخذت اراجع مجلة المقتطف منذ عهد باكر حتى التقيت به لأول مرة - ولا أدري اذا كان قد فاتني مرة او مرات في ابريل 1925 يكتب أول شظاياها اللغوية بعنوان «اوصاف الخيل العربية في باب الزراعة » منذ ذلك اليوم سجل الامير مصطفى الشهابي مخطط حياته العلمية ورسم اتجاهها ، ومنذ قريب أصدر الامير احدى موسوعاته عن الالفاظ الزراعية وفي خلال ثلاثين عاما كاملة كان ذلك ابرز عمله وانتاجه ، حتى في كتاباته الادبية المرسله والانشائية تبسود دولة الزهر والخيل والنبات قائمة ممتدة . ومجموعة الكتب التي عرض لها منذ اتصل بمجلة المجمع العلمي العربي في (آب عام 1924 ) كانت كلها عربية وافرنجية متصلة بالزراعة والزهر والنبات .

فهو في مجلة المقتطف يؤكد في اولي ابحاثه عن « تقدم العلوم والفنون الزراعية » انه قرأ منذ ثلاثة عشر عاما بحثا لعالم اجنبي في خزانة بايزيد في القسطنطينية ، قال هذا عام 1926 ومعنى هذا انه كان معنيا بهذه الدراسات منذ عام 1913 فيما قبل الحرب العالمية الاولى . ويكتب مصطفى الشهابي للدكتور صروف يلفت نظره الى الفرق بين كلمة عالمية وكلمة اطروحة ، ويحذ

في المقتطف ومرة في مجلة المجمع بعد صدور كتابه (ملقى السبيل) حيث قال ان المؤلف ذكر حظ العرب في البحث اليقيني فعزا اليهم نقائص وهنات كثيرة وكساد يجردهم من كل اثر علمي أو أدبي أو فلسفي ، وقد حاد المؤلف عن جادة الانصاف لانه لو سار في محاكمته على أسلوب يقيني محض لوجب ان ينكر ان العرب لم ينفردوا بأسلوبهم الغيبي بل كان هذا الاسلوب طابع مدنية من عاشوا معهم ومن درجوا قبلهم ، وحسب العرب أن يكونوا في التاريخ حفظة العلوم القديمة وموسعيها على قدر ما بلغته كافة البشر .

وفي مراجعاتنا عن الامير مصطفى الشهابي لم نلبث ان طلع علينا في مجلة «الهلal» في ابريل 1930 بأولى مقالاته التي توالت ، وكان لها طابعها المختلف عن مقالات مجلتي المقتطف والمجمع العلمي العربي ، لانها تتناول موضوعات في الادب الخالص فهو يتحدث فيها عن فلسفة اللذة ، وفلسفة القوة ، ثم غرائب المطالعات ، وحقيقة الانسان وغرائب المصانعين ، وحديث بغل وحصار ..

ولكن الامير مصطفى الشهابي لا ينسى دولة الازهار والخيل والزرع ، وهو مهما تحدث عن ابن خلدون وعارض رايه في أن الكتب التي تكون الاديب اربعة ، هي الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والنوادر لابن علي القالي . وانسه لا يجوز ارسال جملة مطلقة كهذه الجملة ، وحصر أصول الادب العربي في نطاق هذا العدد المحدد من الكتب ، وأن هناك من الكتب الاخرى الرائدة ما يحتاج اليه الاديب كالاغاني والعقد الفريد ، وخزانة الاديب للبغدادي ، ورسائل الجاحظ وابن المقفع وسهل بن هارون وعمرو بن مسعدة ... بالرغم من هذا كله يعود الامير مصطفى الشهابي الى دولة الازهار والخيل والزرع ...

فما هو الا أن يطلع على القراء بذلك المقال الذي احببته منذ مطالع صباي وقراته مرارا ، واختارته الهلال في كتابها «أحسن ما قرأت» والمقال بعنوان : (الازهار المداسة ) :

فيه يقول الامير مصطفى الشهابي :

« كنت البارحة انحدر الى دمشق من داري فسي سفح ( قاسيون ) فاسترعى نظري جار يدوس ازهارا نابلة لملقاة في الطريق منها ورد وخطمي وخشخاش ومرغريته وغيرها تتخللها زهرات صغيرات من الفل ،

وكلها قد حال لونها وفسدت رائحتها وزالت نضرتها ، فتذكرت على الفور فصيدة مرقصة بعنوان «سجينة» لشاعرنا العربي الامريكي الرقيق « ايليا ابو ماضي » وصف فيها زهرة كانت تعيش في الحقل قريرة العين ، هادئة البال ، سعيدة بالتراب الغني والهواء النسي ، والضل الندي ونور الشمس ودفئها ، وترانس الاغصان على موسيقى الرياح ، وتظاير الفراش في انهار وتهاوي النيازك في النيل ، فاذا بغاوا من غواة الزهر يقظتها مغتبطا بها ، فيضعها في زهرية ، ويسجنها في غرفة ، فتتالم وتتفجع ، وتستغيث من نظرات العشاق وانوف النشاق ... فلا رقص الكواكب في القصر كرقص الفراش في الحقل ولا المصاييح المتلألئة في الابهاء كنور الجاحب الضعيف في الدجى ، ولا عصر الحسان في عبقه كريخ انتراب في فعونه .

ونظرت الى الجار يظا تلك الازهار دون ان يعتذر أو يتخسع فدنوت منه وبنات الحديث ثم قلت : أوتدري يا صاح ان من الازهار الجميلة النادرة نباتات تظل تجي كما يريدون من حيث تكريتها وتزيينها ، وانهم بعد هذا يبيعون النبتة الواحدة من الصنف الجديد بعشرات من الجنيهات . علا امعنت نظرك في أوراق هذه النباتات تدوسها ، وادركت أشكالها العجيبة من سنانية وسهمية ومستطيلة واهليلجية وكاملة ومقرصنة الى عشرات من الصفات المختلفة ، وقد اتخذ الناس كثيرا من أنواع الزهر علامات يدل كل منها على ضرب من النسوت المستملحة ، والصفات المستحبة ، فالبنفسج للحشمة ، والورد للجمال ، وشبه الشعراء أعضاء الحبيب بصنوف الزهر ، فجعلوا الخنود كالورد ، واللحظ كالنرجس ، والشفة كالشقائق ...

هل جال في خلدك ان تدخل قبة الصخرة في القدس ، او المسجد الاموي في دمشق فتري تزاويق الزهر وتعاريج الورق في زخرف عربي أخاذ ، هل عرجت على تدمر او بعلبك فرايت الازهار كيف تنقش في الصخر الاصم ولكم نقش المصريون الإقدمون زهرة اللوطس وورقتها على ميالكهم وابنيتهم ونفودهم وحليهم وكم سحرت أوراق الاقحوان فناني اليونان والرومان فأوجدوها في أعمدة قصورهم وميالكهم ....

وهكذا يمضي الامير الشهابي في الحديث عن الزهر ، حديث الادب هنا وحديث العلم هناك في معاجمه وابحائه المضطردة في مجامع دمشق والقاهرة وبغداد وهو في حياته يعيش علمه وفكره ، فإذا عرض لنا مذكرة من

يومياته أحسنا مدى أثر بيئته في فكره وعلمه - يقول في احدي مذكراته :

« كنت منذ بضعة أيام ممتطيا صهوة جواد من العراب يسير بي الهويئا تحت مسوق ادواح الغوطة الفيحاء في نفر من الصحاب كلهم من هواة الخيل وفرسان الليل وقد رق الهواء في ايام الخريف الذهبيات ، وسكنت الطبيعة وجملت الشجر تنتثر اوراقها وتتعمى لترقد في الشتاء ، وكانت الخيل قد شاركت الطبيعة في مظاهرها فكانت تسبح بنا سحبا ، وهي اساس ما تكون قيادا ! إلا فرسا جمرحا هجينا أبطره القعود ، وفرط العلف ، فكان ينزو بصاحبه ويفرمض ويمرض ( يمشى بالعرض ) حتى اذا اقترب من فرسي شخر ونخر بصوت اجش ، ورفع احدي رجليه ولبط لبطة استقرت في داعصتي ( صابونة الركبة ) فترجلت أعرج ، وانفضت من الالام كالمرور ، ازرعه البرد او كالمحوم نفثته الحمى ، وفي دنائتي معدودات حملتني سيارة الى الدار فجلست في حديقتها استريح على مقعد قبل بلوغ احدي الغرف فما راغنى الا زنبور يدوم في الهواء ، وكأنه عقد على موعدا ، لانني ما كدت اجلس حتى انقض على سبابة يدى اليمنى فلتسعا لسعة ورمتها ثلاثة ايام ... »

وهكذا يبدو الامير مصطفى الشهابي منذ مطلع حياته وهو يعيش في دولة الزهر والخيل والزراعة ، ومن هنا كان التصاقه الروحي والفكري بالعمل اللغوي الذي تخصص له ، والتي برز فيه وعد مرجعا من مراجعه في العالم العربي كله ...

واذا كان لي أن أستطرد في هذا المجال فاني اقول ان الشعر وهو احدي مواهب الامير الشهابي قدعاش ايضا في مجال الزهر والخيل ...

ففي قصيدته التي ودع بها القاهرة عام 1935 يقول :

القلب كالتزئيق السرجراج ينفض من نـ  
سار التفرق خفاقا وموارا

يهيم في مصر ملتاعا ينش وقد

سار القطار بنا ليلا فما سارا

يا ساكني عين شمس هل بأضلمكم

ماوى تحلون فيه ذلك الجارا

وهل تعلونه من ماء نيلكم

علا يسكن في سودائه نارا

جاءوا الى بأزهار الوداع وقد

بلت دموعى أرداننا وأزهارا

تصوح الزهر اشفاقا على فما  
أصبحت منه ذكى العرف معطارا

أواه يا نسمة النيل ساجية

كم ضمك الصدر اشهاقا وزغارا

وكم تعطرت بالريحان وامتزجت

رياك بالروض افنانا ونورا

ما ان نشفتك حتى خلت منتعشا

ماء الحياة جرى بالجسم انهارا

وخلتني عدت مخضل الاماب الى

شرح الشباب قوى العزم جبارا

مهلا أحبائي انى عائد لكم

مهما تعنت هذا الدهر أو جارا

لولا دمشق وروض الغوطتين لما

تخيرت غير جنان النيل لى دارا

وبعد فان تاريخ الامير مصطفى الشهابي وكفاحه في مجال اللغة العربية يطول وقد عاد الى بالذاكرة اليه عبارته في أول كتابه (المصطلحات العلمية في اللغة العربية) حين يقول انه بدأ منذ ثلاثين سنة ينشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق والمقتطف بالقاهرة باكورة هذه المصطلحات في علوم الزراعة وفي علوم المواليد الثلاثة من نبات وحيوان وجماد وانّه تأبر عليها الى اليوم حتى تجتمع له نحو عشرة آلاف لفظة عربية أو معربة. وضعها قبالة الانفاظ الفرنسية او الاسماء العلمية وقد ضم معجم الانفاظ الزراعية المطبوع في دمشق 1943 وفي القاهرة 1957 معظمها .

وقد تحدث الامير مصطفى الشهابي في مطالع بحثه عن نشوء اللغة العربية ووسائل نموها بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب . وتصدى لما واجهها ازاء نقل العلوم فن النيشة الحديثة وجود المجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد في هذا الصدد ووضح يتحدث عن هذه المصطلحات حتى أغنى الباحث في مجالها .

ونحن اذ ننقل صورته الى مجلة اللسان العربي الزاهرة انما نذكر أولئك السواد المغاربة في مجال المصطلحات واللغة أمثال عبد الله كنون ومحمد القاسي وعبد العزيز بنعيد الله ، وأمامي له معجم عن الاصول العربية والاجنبية للعامة المغربية وأبحاث أخرى عديدة.

واذا جاز ان نتحدث عن الامير مصطفى الشهابي خارج مجال اللغة العربية فانا نقول انه واحد من رواد القومية العربية واحد أفراد حلقة دمشق الصغيرة

ويؤمن الامير الشهابي بأن التراث العلمي والادبي والفلسفي الذي خلفه العرب والمسلمون لا مثيل له في انكم وانكيف جميعا في لغة ما من لغات العالم وهو لا يرى تعارضا بين العربية والاسلام ، يقول « ان القومية العربية والاسلام يمشيان جنبا الى جنب دائما ولا يستطيع العرب أن يفعلوا ما فعل الترك في الالحاد وجعل الحكومة لا دينية » وهو يهاجم استعمال الحروف اللاتينية ويرى انها تبعدنا عن تراثنا العلمي وعن الشعوب الاسلامية التي تكتب بحروفنا وعنده ان تبديل قواعد اللغة الاصلية يبعدنا عن فهم القرآن وهو تراثنا الاعظم ديننا وقوميا ، ، ولا يجوز بحال العدول عن فهمه وتفهمه مهما مست الحاجة الى تسهيل قواعد الصرف والنحو في اللغة الضادية ويرى ان مفردات اللغة العربية ومعاني المفردات وتعبيرات تلك اللغة واصطلاحاتها لم تجمد قط على حال واحدة منذ صدر الاسلام وهي التي يجب علينا العمل في سبيلها حتى تجاري العربية لغات أوربا الحية . وفي الحملة فان الامير مصطفى الشهابي عالم لغوي وباحثة واديب اقام منذ ثلاثين عاما دولة للزهر والخيل والزراعة في أدبنا العربي .

القاهرة - انور الجفندي

وجمعية الاخاء العربي والجمعية القحطانية ... وطلقة الشيخ طاهر الجزائري وقد أجرى هذا الحديث فياضا في كتابه ( القومية العربية : تاريخها وقوامها ومزايها ) وله أيضا دراسته الخصبة عن ( الاستعمار ) ومئات الابحاث والمقالات في صحف العالم العربي في الادب واللغة والتاريخ .

وقد تناولته بالدراسة في موسوعة معالم الادب العربي المعاصر في مجال كتاب النشر وفي مجال حماة اللغة العربية ، وحياته حياة خصبة حافلة بالعمل النافع للفكر العربي ، ولد في حاصبيا من اعمال دمشق وتعلم في دمشق واستانبول ثم سافر الى فرنسا حيث حصل على اجازة في الهندسة الزراعية ثم عاد من باريس 1914 الى استنبول حيث اتصل باعضاء جمعية المنقذ الادبي الذين كانوا يحملون لواء الدعوة العربية وقد اتجه الامير الى ميدان الفكر ، وولى عددا من المناصب حتى أصبح وزيرا للمعارف سنة 1936 ثم سفيراً لسوريا في مصر عام 1952 واشترك في المجامع الثلاثة واصدر معجمه الباهر ، ويرجع اهتمامه بالمصطلحات الى الحركة العربية التي كانت ترمي قبيل الحرب العالمية الاولى الى تحرير اللغة العربية من المسميات الاجنبية .

